



# الخيمة 8 أو خيمة الخيم

كَلِمَات

**لنتخيل** للحظة أننا في القرن التاسع عشر (ولم لا؟ فنحن لم نتغير كثيراً وإن كان الكثير قد تغير)، ولنتخيل أيضاً أنّ البريطانيين آنذاك لم يتبنوا آل جنبلاط والذين جرى اضطهادهم من قبل الزعامات الأخرى، هل كنا سنشهد اليوم زعامة آل جنبلاط؟ ولتقفز إلى القرن العشرين حين قررت نظيرة جنبلاط أن تقرأ اتجاه الريح فقفزت مع الفرنسيين تاركة «الإنكليز»، هل لو لم تفعل ذلك، هل كنا سنشهد اليوم زعامة آل جنبلاط؟ ولتتابع مع كمال جنبلاط حين عانق الاتحاد السوفيتي وجمال عبد الناصر وباسر عرفات، فتوجّ زعيماً للدروز وللحركة الوطنية. ولتذهب إلى ما سمي «حرب الجبل» وبعدها، هل لو لم يتحالف وليد جنبلاط مع النظام السوري (عضواً على جرح مقتل والده كما قال) هل كان اليوم زعيم الشوف؟ لنقرأ أدبيات شكيب إرسلان<sup>(1)</sup> مناهضاً التبعية للخارج حتى نفهم لماذا يسأل الناس اليوم من هو شكيب إرسلان ولنعرف أهمية أدبيات وليد جنبلاط في الحفاظ على الزعامة.

ولنتخيل أيضاً أننا لم نكن مُحْتَلِينَ من قبل العثمانيين ولم يكن العثمانيون في حاجة إلى حلفاء محليين لتدعيم احتلالهم هل كنا سنسمع اليوم عن «ارستقراطي» و«زعامة» لبنان وسوريا وفلسطين والجزيرة العربية؟ هل كنا سنسمع بألقاب مثل بيك وباشا وافندي ودولة وفخامة وسعادة وسمو وجلالة؟ وهل لو لم يبدلوا ولا اتهم كالعادة وبسرعة من العثمانيين إلى الفرنسيين والبريطانيين، هل كانوا سيبقون سلاطين «هنا» في لبنان و«هناك» في العالم العربي؟

هل لو لم يُفَبِّرَكَ وعد بلفور ولم يتراجعوا عن عهدهم للملك فيصل الأول في دولة عربية موحدة، هل كنا سنسمع اليوم عن ترسيم حدود وعن حرب تحرير فلسطين وشعباً ومفاوضات سلام لاستعادة الجولان؟ وهل كنا سنشهد انقلابات عسكرية باسم فلسطين والعروبة؟ ولنتخيل أيضاً أنّ أميركا لم تقم بالانقلاب على مُصدق في إيران الخمسينات والجيء بالشاه، هل كنا سنشهد قيام الجمهورية الإسلامية في إيران؟ وهل كان الخميني سيصبح مرشداً وسيرسل مجتدين أو متطوعين لتحرير الجنوب حيث عجزت الأنظمة العربية (بل بعضها تبسم) حين احتلت بيروت في عام 1982؟ وهل كنا سنسمع اليوم كلاماً عن سلاح المقاومة والثقل المعطل والشرعية الدولية؟

ولنتخيل أيضاً أنّ الغرب لم يقم باكتشاف النفط، ولم تقم دوليات النفط، هل كنا سنشهد «صحوة سلفية»؟ وهل كان «أهل السنة» في لبنان سيهبون لمحاربة «الهلل الشيعي»، بإيحاءات ديك تشيني وإيليويت إبراهيم؟

ولنتخيل أيضاً وأيضاً أنّ «حكومة السنيورة» بشخص رئيسها لم تقم بتوزيع القبل على وجنات كونداليسا رايس ولم تقم «رموز 14 آذار» بمماثلتها حين كانت «تطمئننا» أنّ القتل آتٍ، هل كنا سنشهد هذا الشرخ الكبير بين سنة وشيعة وبين مقاومة وحكومة؟

ولنتخيل أيضاً أنّ العراق لم يُحْتَل وأنّ النظام السوري إبان سيطرته على لبنان تصرف بمسؤولية وكما توجّب في بلد «ه» و«بلدنا»، ولم يعث فساداً واضطهاداً بالبلد والناس «هنا» و«هناك»، هل كنا سنعيش اليوم توتر العلاقات الإقليمية والعربية؟ وهل كانت سايكس بيكو ستستمر ويزداد التفتت؟

ولنتخيل أنّ سلاطين لبنان والعرب كانوا حكاماً فعليين وعادلين، هل كنا سنشهد هذه الغربية بين المواطنين والأنظمة والوطن؟

ولنتخيل أنّنا لم نعتبر الشيوعية عدوناً الأول، خدمة لمصالح غربية، وطبعاً لاستمرار سلطتنا، هل كنا سنشهد قيام بن لادن و11 أيلول؟ واليوم لو لم نعتبر إيران عدواً هل كنا سنشهد تدمير العراق وما تبقى من فلسطين وتوترات لبنان وعزلة مصر وتهديد سوريا؟

وعودة إلى لبنان (دون أن نغادر)، هل كان ممكناً للنظام السوري أن يسيطر على لبنان لو لم يُعْطَ له الضوء الأخضر من أميركا وهل كان سيخرج لو لم يُعْطَ الضوء الأخضر للخروج؟

وهل كانت ستُشكّل وزارة لولا زيارة الرئيس السوري إلى فرنسا «الأم الحنون»؟ وهل كان للنظام اللبناني أن يستمر دون باريس 1 و2 و3 ودون أموال المهاجرين والسعودية وإيران وأميركا؟

«زعماء» لبنان، رهائن أنانياتهم والمحتل، وبائسون، في نظام اعتقدوا أنّهم أوجدوه، فخلقهم وأنهاهم، وجميع خيمهم من 1 إلى 7 لم تكن ممكنة لولا خيمة الخيم من بلفور إلى بوش. هل يعني هذا أنّ زعماءنا ليسوا شرعيين في طوائفهم ومناطقهم؟ على العكس إنهم الشرعيون ونحن (ما يبعجبنا العجب) هامشيون. الأهم أنّ شرعيتهم تستمد حيناً من الداخل ودوماً بسبب الخارج ودعمه.

لقد آن لهذا الخارج أن يعترف بجرائمه وأن لنا أن نطالبه رسمياً وشعبياً بذلك، وإلا فليكن لنا ملك غربي وليكونوا «هم» كما هم فعلاً أمراء شرعيين لطوائفهم، وليكن الموضوع رسمياً وعلناً.

جواد نديع دره

(1) شكيب إرسلان، 1946-1869، كاتب ومؤلف وجد وليد جنبلاط